

مذكرات عربي في لندن (2)

بقلم نواف التميمي

أن تزور دمشق دون أن تمر بسوق الحميدية فكأنك لم تزرها، وان تكون في مصر ولا تسلم على اهرامات الجيزة، فكأنك تجاهلت العظمة، وأن تصل اسبانيا دون المرور بقصر الحمراء يعني أنك أغفلت التاريخ، وأن تحط الرحال في باريس دون المشي في الشانزليزيه فكأنك وصلت النبع ولم تشرب منه، وأن تأتي الى لندن ولا ترفع ناظريك الى «بغ بن» يعني أنك نسيت الزمن، وان تصل لندن ايضا دون المرور والجلوس والاكل والشرب في «ايدجوار رود» فيعني أنك لم تمر بلندن «مربط خيلنا».

عند نقطة تلاقي «اكسفورد ستريت» مع «بارك لين» في زاوية «ماريل ارش»، تبدأ العتية الأولى من «ايدجوار رود» أو شارع العرب كما يسميه أهل لندن الاصيلون والمهاجرون والاجانب وحتى العابرون من السياح. وليس للقدام الى لندن حاجة للاستعانة بخريطة سياحية للوصول الى الشارع، حيث سحب الدخان المتصاعد من الارجيل وسياخ المشاوي ترشد الضالين والغرباء، أما صوت راغب علامة وخالد الشيخ وراشد الماجد المدوية من محلات بيع الاشرطة، والسيارات المكشوفة فهي بوصلة تهدي الاطرش الى «ايدجوار رود» أو مضارب بني يعرب في عاصمة الضباب والكمباب.

عندما تضع قدميك في الشارع يجتمع أمامك العالم العربي من المحيط الى الخليج، من اللباني صاحب المطعم الى العراقي صاحب العقار الى السوري بائع الخضار الى الخليجي المتسوق الى الفلسطيني العامل الى المغربي السائق... الخ مجتمع كامل يقدم ويستهلك كل الخدمات، وبين كل هؤلاء ينتشر من ابناء الجالية العربية الطالب والصحافي والاساتذ الجامعي والسياسي اللاجئ والفنان الحالم أو الفاشل.

تجر قدميك على رصيف «ايدجوار رود» وانت تتصفح الجميع وهم يطالعونك، تمر بمحلات تباع كل شي من «الشيكلتس» الى اخر صرعات «الموبايل» و«الستلايت»، صالونات حلاقة، ومحلات لتجارة العقارات، ومكاتب للهاتف والخدمات السياحية والطيران، وحتى صيدليات وبنوك، هذا ناهيك عن المقاهي التي تقدم الشاي والقهوة والياسون والكركيه والارجيلة.

غير أن المساحة الأوسع من جانبي «ايدجوار رود» فهي للمطاعم التي تقدم وجبات متنوعة، تمتد عبر خارطة المطبخ العربي من «الكسكي» القادم من المغرب وتونس والجزائر وليبيا الى الكيسة السعودية مروراً بورق العنب والمخللات والمعجنات والبقول والحمص والمنتبل والمقبلات والسلطات اللبنانية والشامية، ولا تنسى الشاورما والكبة وحتى المنسف والمجدرة.

غير أن «ايدجوار رود» العربي يستدعي من الزائر العربي توحيد الحبيطة والحذر، حيث تكثر حوادث السرقة والاعتداءات وترويج البضائع المسروقة والسلع الممنوعة، والمحلات التجارية تضاعف اسعارها في الصيف استعداداً لاقتناص السياح والزوار العرب الهاربين من حر بلدانهم ليجدوا حر الأسعار المبالغ فيها الى حد الاستغلال.

أما المطاعم فحدث ولا حرج، الاسعار في موسم الصيف ترفع ضعفاً أو ضعفين، والتنوعية تضاعف ضعفين أو ضعفاً، ولا تعود الفلافل تشبه الفلافل، ولا لون أو طعم أو رائحة للشاورما. وربما أكثر ما يزعج زائر «شارع العرب» هو الخدمات وخاصة في المطاعم التي تفتقد بعضها لأبسط أجديات «حسن الضيافة» أو «خدمة الزبون».

هذا ما تراه في ٩٠٠ متر من العاصمة البريطانية، وأما ما لا تراه في «ايدجوار رود»، فحديث آخر. ■



من الضفة وتقدر تكاليف هذه المرحلة بـ ٤٠٠ مليون شيكل أي حوالي ٦, ٨٠ مليون دولار ويصلا طولاً الجدار في هذه مسار المرحلة أ يمتد على طول قرابة ١٤٥ : ١٢٥ كم تبدأ من قرية سالم داخل الخط الأخضر في الشمال، حتى مستوطنة إلكنا في الجنوب وتقع قرية سالم شمال غربي جنين.

وتم الانتهاء منه في الأول من أغسطس ٢٠٠٣ كما أعلنت إسرائيل عنه. إضافة إلى الجدار الرئيسي، هناك تخطيط لثلاثة حواجز ثانوية في ثلاث مناطق على طول مسار المرحلة أ، والمسماة حواجز العمق. في جزء من المناطق المخطط فيها لإقامة حواجز كهذه صادرت إسرائيل على أراض بملكية خاصة لفلسطينيين لكن أعمال البناء لم تبدأ بعد.

مرحلة ب تمتد على طول ٤٥ كم تقريباً من سالم وحتى بلدة التياسير على حدود غور الأردن. حتى الآن تنفذ أعمال على طول ٣٠ كم تقريباً، من سالم نحو الشرق. يفترض أن تنتهي إقامة مرحلة ب بكل أجزائها، بناءً على تصريحات مسؤولين بوزارة الجيش الإسرائيلي، حتى نهاية العام ٢٠٠٣.

وبالإضافة إلى الجدار العازل غرب الضفة أقتراح شارون في مارس الماضي إنشاء جدار عازلاً آخر شرق الضفة الغربية ليضم المستوطنات اليهودية في غور الأردن إلى إسرائيل ويفصلها عن باقي الضفة الغربية، انتهت وزارة الجيش الإسرائيلي من إعداد المسار للمرحلة الثالثة من هذا الجدار المقترح، الذي سيمتد من مستوطنة إلكنا حتى منطقة البحر الميت. مسار الجدار في هذه المرحلة ستقام أعمق من المراحل السابقة في داخل أراضي الضفة، بحيث أن غالبية المستوطنات ستبقى غرب الجدار.

وبذلك يجد الفلسطينيون أنفسهم في سجن كبير محاصر من الشرق والغرب الجدران العازلة والمستوطنات الإسرائيلية والواقع أن هذه المشروعات ما هي إلا تنفيذ لأفكار قديمة تخدم الاستراتيجية وأهدافها وليس لأسباب أمنية كما يزعمون .

مسار المقطع الشرقي للمرحلة ب، بين قرية المطلة والتياسير، يعزز الاعتقاد بأن هناك نية حقيقية لزيادة طول الجدار باتجاه الجنوب، بحيث يتم فصل غور الأردن عن بقية الضفة الغربية.

غالبية المسار للجدار في المرحلة أ يمر داخل أراضي الضفة الغربية. نتيجة ذلك سيمس بناء الجدار بحقوق الإنسان لأكثر من ٢١٠٠٠٠ مواطن فلسطيني يعيشون في ٦٧ بلدة: ١٣ بلدة يعيش فيها حوالي ١١٧٠٠ مواطن ستتحول إلى جيوب سجنية بين الجدار وبين الخط الأخضر؛ المسار الملتوي للجدار وإقامة حاجز إضافي (حاجز العمق) شرقي الجدار الفاصل سيحول ١٩ بلدة أخرى، يعيش فيها زهاء ١٢٨٥٠٠ فلسطيني إلى جيوب معزولة، ٣٦ بلدة أخرى شرقي الجدار العازل أو حاجز العمق، يعيش فيها زهاء ٧٢٢٠٠ مواطن، ستفصل عن جزء ملحوظ من أراضيها الزراعية التي ستبقى غربي تلك الحواجز.

... يتبع في العدد القادم